صفورية زاخرة بآثار من كل العصور

صفورية زاخرة بآثار من كل العصور

وديع عواودة- صفورية

على تلة مباركة وينابيع غزيرة تتوسط منطقة سهلية بين الناصرة وحيفا، قامت صفورية داخل أراضي ما يعرف بـ48، وتوالت الحياة فيها على امتداد التاريخ حتى دمرتها إسرائيل عام 48 وأقامت على أنقاضها مستوطنة تحمل اسمها مشابها "تسيبوري".

وتمتاز فلسطين عامة بوفرة مكتشفاتها الأثرية النادرة، لكن صفورية داخل أراضي 48 موقع أثري مميز وفريد تروي معالمه تاريخ البلاد على امتداد العصور المتتالية.

فمنذ الحفرية الأولى التي تمت أيدي بعثة أثرية أميركية عام 1931 تتواصل التنقيبات الأثرية في صفورية ومحيطها، حتى اكتشفت موجودات تعود إلى العصرين البرونزي والكنعاني خلال الأسبوع الجاري.

وأكد الباحث الأثري والمسؤول العلمي عن التنقيبات الأثرية محمد خلايلة اكتشاف آثار عمرها سبعة آلاف سنة مؤخرا، وأشار إلى أنه تم العثور على ملامح مدينة عمرها أربعة آلاف سنة من بداية العهد الكنعاني، تمتد على مساحة ثمانين دونما.

العهد الكنعاني

وأوضح أن الموجودات الأثرية تظهر انتقال الإنسان من الأدوات الحجرية (الصوانية) للأواني الفخارية التي ساهمت بتطوره، وبدء ازدهار الناحية العمرانية.

وقال خلايلة "وجدنا تماثيل صغيرة وصحونا، وأدوات، وأدوات زينة، وأدوات دينية خاصة بتقديم القرابين، وغيرها من الآثار التي تدلل على ازدهار الحياة في المكان".

وقد احتل الرومان صفورية عام 63 قبل الميلاد، وما لبثت أن تحولت لمركز إداري للحكم الروماني في الجليل. وبيّن خلايلة أن سر ازدهار المدينة عبر العصور يكمن في وفرة ينابيعها وآبارها إلى جانب الظهير الزراعي والمراعي وتوفر مساحات الصيد.

وعن تحف الفسيفساء التي يتواصل اكتشافها في صفورية من العصرين الروماني والبيزنطي يؤكد خلايلة أنها "من أجمل الأعمال الفسيفسائية في البلاد والعالم" لاسيما وأن أجزاء كبيرة بقيت على حالها طيلة 1500 عام.

أعمال فسيفسائية بيزنطية تظهر احتفالات الناس بعيد النيل في مصر (الجزيرة)

لوحات فسيفسائية

ومن ضمن الاكتشافات، أرضية بيت كبير يعرف بـ "البيت الروماني" مرصوفة بالفسيفساء المزركش من الحقبة الرومانية تزدان برسومات في غاية الدقة والجمال.

وهدم المنزل عام 363 جراء هزة أرضية، ووجد داخل صالة طعام بالمنزل أرضية من الفسيفساء رسومات جميلة تصف الاحتفالات الخاصة بما يعرف آنذاك بإله الخمر ديونيسيوس، وصورة نادرة لامرأة ابتسامتها غامضة.

ولقبت المرأة هذه على يد الباحثين والأثريين بـ "موناليزا الجليل" فهي كالموناليزا الإيطالية ترمقك بنظرتها أينما نظرت لها.

وفي موقع مجاور اكتشفت أعمال فنية من الفسيفساء داخل بيت "عيد النيل". وتصف تلك الأعمال احتفالات وأعياد الناس بارتفاع منسوب نهر النيل وتظهر فيها مدينة الإسكندرية ومنارتها الأسطورية التي كانت إحدى عجائب العالم السبع القديمة.

كما تشمل أرضية فسيفسائية أخرى أشكالا آدمية وحيوانات عادية وأسطورية ونباتات وزوجا من الصيادين، رسمت جميعها بحرفية وجمالية عاليتين.

وتعكس هذه اللوحات الفنية برأي الباحثين، علاقات التعاون بين فلسطين ومصر الفترة البيزنطية، ويرجحون أنها بنيت على يد فنانين من مصر.

وبمحاذاة الشارع المركزي تبدو آثار حوانيت كانت جزءا من السوق، ويمكن ملاحظة آثار عجلات العربات في ألواح حجارة الشارع نتيجة تكرار مرورها مدة طويلة.

موناليزا الجليل كالموناليزا الإيطالية ترمقك بنظرتها أينما نظرت لها (الجزيرة)

مسرح روماني

وتحوي المدينة الأثرية مسرحا رومانيا على غرار مسارح بيسان وقيسارية وجرش يتسع لـ4500 مقعد حجري. ويعتبره الباحثون دليلا على مدى ازدهار المدينة، وعلى مقربة منها آثار كنيسة وحمامات وبقايا بيوت وبرك للاستحمام.

واكتشف إلى جوار الكنيسة قلعة إسلامية مكونة من طابقين تقوم على أسس قلعة صليبية، بناها حاكم الجليل ظاهر العمر

الزيداني بالقرن الثامن عشر. وبنيت القلعة بأحجار منحوتة بعضها يحوي نقوشا فنية، أما مدخلها فهو واسع يزينه بناء قوسي.

ويشير الباحث الأثري وليد أطرش للجزيرة نت إلى أن صفورية وقعت بيد المسلمين بعدما فتحها شرحبيل بن حسنة عام 13 هجرية، لافتا إلى أن صفورية لم تحتل مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي إلا خلال فترة المماليك حيث شهدت ازدهارا كمركز إستراتيجي على منتصف الطريق بين عكا وطبريا.

وفي الحقبة الصليبية استخدمت صفورية مدينة وقلعة حصينة انطلق الصليبيون منها نحو معركة حطين المجاورة عام 1187 حيث هزمهم صلاح الدين الأيوبي، وحرّر القدس من احتلالهم.

ويقول أطرش إن الحفريات الحالية كشفت عن عدد كبير من حدوات الخيل والأسهم الخارقة للجلد بمنطقة عين صفورية التي انطلق منها الصليبيون نحو حطين.

المصدر : الجزيرة

Published On 21/8/2012